الدكتور بوبكر العربي، استاذ محاضرا

جامعة يحى فارس المدية

البريد الالكتروني:laarbi.boub@gmail.com

المداخلة في المحور الثاني: **صورة الشرق في العصور الوسطى**

عنوان المداخلة: **دور الكنيسة في الاستشراق من خلال حركة التبشير**

الملخص:

تربط كثير من الدّراسات نشأة وتطوّر حركة الاستشراق التي ازدهرت في العصور الحديثة والمعاصرة بالدور الذي قامت به الكنيسة في العصور الوسطى من خلال الاهتمام بالتراث الإسلامي، وفيها نشط تيار من المهتمّين بهذا التراث ركّز على تشويه صورة الإسلام من خلال الإساءة إلى العقيدة والسيرة النبوية الشريفة، والتاريخ الإسلامي عموما. وقد كان للمبشّرين دور كبير في الإساءة إلى الإسلام وصورته من خلال حركة المبشّرين التي نشطت في العالم الإسلامي حيث ركّزت هذه الحركة على تشويه الإسلام وقيمه ومبادئه، والدعوة إلى المسيحية ، من خلال الإرساليات التبشيرية وإنشاء الجامعات، وسنركّز في هذه المداخلةعلى نماذج من المبشّرين الّذين اتّخذوا من الاستشراق مطية لتشويه الإسلام، ونشر أفكارهم ودعم حركة التبشير في البلاد الإسلامية.

1-مقدمة:

ظل الاستشراق ومازال جزءا لا يتجزأ من قضية الصراع الحضاري بين عالمين، العالم الإسلامي في دينه وقيمه وحضارته، والعالم الغربي في مدنيته وماديته، وفي ضوء الاستشراق والمستشرقين طُبعت التصورات الأوربية والغربية ومازالت مع الأسف تشوه صورة الإسلام والمسلمين في العقل الأوربي، ومن ثمّ وجدنا إلى وقت قريب ذلك الحقد تجاه الإسلام والمسلمين من بعض الذين تأثّروا بأفكار الكثير من المستشرقين والدعاية الغربية التي جعلت الإسلام عدوّا لابدّ من مواجهته ومحاربته، ورغم الخطاب الرسمي الذي يدعو إلى التسامح الديني وحوار الثقافات، إلا أنّ الواقع يفنّد ذلك، وقد رأينا كيف وقف الغرب المسيحي مناصرا لكل الكتابات التي أساءت للإسلام والمسلمين، وإن كانت الشواهد كثيرة إلاّ أنّنا نستحضر هنا الإساءة المتكرّرة للرسول صلى الله عليه وسلم، خاصة الرسومات الكاريكاتورية، وكيف ادّعى الغرب أنّ ذلك من صميم حرية التعبير والقيم الغربية. وفي هدا البحث أستعرض،

صورة الشرق في العصور الوسطى، ودور الكنيسة في تبلور الفكر الاستشراق من خلال حركت التبشير التي دفعت الكنيسة خاصة الكاثوليكية للاهتمام بالتراث العربي الإسلامي.

شكّل ظهور الإسلام حدثا مميزا في تاريخ الإنسانية، كرسالة خاتمة جامعة، انتشرت في كل البلاد خاصة بعد توسع حركة الفتوحات الإسلامية التي شملت مصر وبلاد الشام والعراق، وهي أراضي معظمها كانت تدين بالمسيحية، مما اشعر العالم المسيحي بالخطر وهو يفقد أراضى كثيرة كانت تدين بالمسيحية، ومن هنا بدأت مظاهر الصراع بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي، وكانت هناك كثير من الدلائل تشير إلى ذلك خاصة تنامي حالة العداء للمسلمين، فكان الاحتكاك الذي عرف بالحروب الصليبية[1].

2-الحروب الصليبية: 1-

2- شكلت الحروب الصليبية[2]، بداية الاحتكاك الفعلي المسلح بين المسلمين والنصارى خاصة وان رجال الدين المسيحيين استطاعوا استغلال عواطف الناس وحقدهم ضد المسلمين[3]، وقد لعب الكنيسة الكاثوليكية دورا مهما في ذلك وكان للبابا ارو بان الثاني[4] دورا مميزا في ذلك، ويظهر الأمر من خلال الخطبة الشهيرة التي ألقاها في مدينة كلير مونت بفرنسا، بعد نهاية مؤتمر كلرمونت[5]، وكانت الخطبة مؤ ثرة في نفوس العامة مكن الناس زادت من حماستهم لمواجهة المسلمين

رغم تعدد الحملات الصليبية إلا أنها في النهاية لم تحقق النتائج المرجوة خاصة وان الكنيسة لم تكن صادقة في أسبابها فقط كانت تبحث عن طريق ما لإسكات غضب الناس ، واستمرار رجال الكنيسة في التمتع بمختلف الامتيازات السياسية والدينية والعسكرية، ثم أن الجيوش الأوربية لم تكن موحدة بالشكل الكافي فتنازع الأمراء والملوك على المصالح والغنائم، مما جعل المسلمين يملكون القدرة على صد تلك الحملات.

---

[1] سلسلة من الحروب خاضها النصارى ضد المسلمين من إلى، بدأت بالحملة الصليبية الأولي سنة 1095م، وانتهت 1291م

[2] للمزيد عن تطور الحروب الصليبية أسبابها ونتائجها، ينظر:

ستيفن رانسيمان، ***تاريخ الحملات الصليبية***، تر، نورالدين خليل، ج1، ج2، ج3،

قاسم عبده قاسم، ***ماهية الحروب الصليبية***، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والاداب، الكويت، عدد 149، 1978م.

[3] شوقي ابو خليل ، ***الحروب الصليبية اسبابها احداثها نهايتها***،ط1، دار الفكر، 1430هـ،2009م، ص، 11.

[4] ينظر: محمد مؤنس عوض، ***البابا اوربان الثاني والفقيه علي بن طاهر ألمسلمي***، مجلة بحوث الشرق الأوسط، عدد، 38، ج1.

[5] مجمع كلرمونت انعقد في وسط فرنسا في شهر نوفمبر سنة 1095م، جمع 13مطرانا و82 أسقفًا و90رئيس دير وبابا واحداً بعده أطلق البابا اوربان الثاني دعوته الشهيرة للحرب الصليبية، فكانت الحملة الصليبية الأولي، 1095م، 1102م.

3-التبشير[6]:

كان للاخاق الذي رافق الحروب الصليبية من 1096م، إلى 1291م، تأثير كبير في إعادة التفكير في الأساليب التي يمكن أن تنجح بها الكنيسة في إخضاع المسلمين، فكانت الطريقة هي أن يتم ضرب الإسلام والمسلمين في موطن قوتهم والتشكيك في عقيدتهم، يقول فليب حتى :"كان من نتائج الحروب الصليبية فكرة اجتذاب المسلمين الى اعتناق المسيحية عن طريق الاقتناع، بدلا عن طريق القوة والإكراه"[7]، وكان الاتجاه نحو هذا الأسلوب نتيجة الخيبة الكبيرة التي منيت بها الجيوش الأوربية من جهة، ومن جهة أخرى موت الدوافع التي كانت تدفع الناس للالتحاق بها، فكان التبشير أداة جديدة من أدوات الصراع، وقد كانت الفكرة من وحى ملك فرنسا لويس التاسع[8]، الذي لم يفلح في تحقيق النصر العسكري ووقع أسيرا خلال حملته على مصر ولم يطلق صراح هالا بعد فديه، ورغم الهزيمة وتجربة الأسر، إلا أن حقده على المسلمين لم يتوقف

ودون الحوض في المفاهيم المختلفة بالتبشير والتنصير، لكن الإستراتجية الجديدة كانت تهدف إلى ضرورة كبح جماح المسلمين

4-صورة الشرق في العصور الوسطى(أساليب وأهداف التبشير):

بعد الخيبة الكبيرة التي منيت بها الكنيسة على وجه الخصوص، والعالم المسيحي الكاثوليكي عامة، بدأت الكنيسة تبحث عن أدوات أخرى للتقليل من الأضرار النفسية التي صدمت المسيحيين، فكان لابد من تغيير منهجية العمل، خاصة وان ملك فرنسا لويس التاسع وهو في سجنه بمصر بدا يرسم خطة مغايرة لأسلوب الحرب المباشرة، محللا أسباب الإخفاق فيها ويمكن أن نعددها في مايلي:

النعرة الدينية التي استغلتها الكنيسة لإثارة الناس وحماستهم أصبحت غير مجدية. -

---

[6] لمعرفة تفاصيل اكثر عن التبشير ينظر:

محمد زين العابدين محمد الطشو، ***التبشير في العالم الإسلامي أهدافه وأثاره***، شهادة دكتورة،جامعة الأزهر، القاهرة، 1407هـ،1987م، ص،34-ص،100.

[7] ينظر: فليب حتى، **تاريخ لبنان**، دار الطباعة للنشر والتوزيع، 1959م.

[8] لويس التاسع، ملك فرنسا، ولد 25 افريل 1214م، وتوفي في 25اوت 1270م ، قاد الحملة الصليبية عل مصر، ومني ومني بالفشل بعد أن تم أسره ولم يطلق صراحه إلى غاية أن قدمت بلاده فديه، كان من أكثر الحاقدين على الإسلام من أفكاره إفساد أنظمة الحكم في البلاد الإسلامية بالرشوة والفساد والنسا، والدعوة إلى ضرورة تغير الأساليب الحربية في الصراع، بعد فشل الحروب الصليبية، ينظر:

محمد مصطفي زيادة، حملة ***لويس التاسع على مصر وهزيمته في المنصورة***، ط1، المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية، د من ، دت.

استغلال الكنيسة لغنائم الحرب بشكل ألّب الناس ضدها. –

عدم قدرة الكنيسة وحدها على خوض الصراع،وانطلاقا من هذا التحليل بنيت الخطة الجديدة للصراع على الأسس التالية:

"تحويل الحملات الصليبية العسكرية إلى حملات ضد العالم الإسلامي بدون سلاح. –

تجنيد عدد كبير من المبشرين في معركة سلمية من اجل تشويه الإسلام والقضاء عليه. –

إنشاء قاعدة في العالم الإسلامي تكون منطلق لكل الحملات السياسية والدينية والعسكرية[9]" –

وهكذا ظل التبشير يهدف إلى تحقيق مجموعة من الأهداف تتمثل في التخفيف من الصدمة النفسية التي مني بها العالم المسيحي، والرغبة من الانتقام من الإسلام، وهو بذلك كان مقدمة للاستعمار[10].

بدأت المخططات التبشيرية في عز الحملة الصليبية واستمرت بعدها أكثر قوة، ففي 1154م، أسس الرهبان في الأراضي المقدسة رهبنة عرفت بالرهبنة الكر ملية نسبة إلى جبل الكر مل في لبنان، ثم انتشرت في معظم الأراضي كطرابلس، وفي منتصف القرن الثالث عشر تم إقامة رهبنيتان للفرنسيسكان[11]، والدومنيكان[12]، وتم التركيز على هذه المنطقة نظرا لوجود عدد معتبر من النصارى.

من الشخصيات التي دفعت إلى هذا التوجه الجديد نجد ملك فرنسا لويس التاسع الذي هُزم خلال الحملة الصليبية السابعة، كذلك روجر بيكون[13]، الذي دعى إلى تعلم اللغة العربية باعتبارها مفتاح التنصير، والمبشر ريموند لول الذي تعلم اللغة العربية في الأندلس، وشجع على الاطلاع على التراث الإسلامي بشكل واسع، خاصة أجاد اللغة العربية، وقد شجعت هذه الظروف الكنيسة الكاثوليكية أن تدفع بهؤلاء المبشرين خاصة في بلاد الشرق الإسلامي التي كان بها الكثير من النصارى.

---

[9] سعد الدين الصالح، احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، ص،31_33.

[10] محمد البهّى، ***المبشرون والمستشرقون، وموقفهم من الاسلام***، دار المعارف، القاهرة، دت، ص،6. –

[11] الفرنسيسكان، طائفة من الطوائف المسيحية أسسها القديس فرنسيس الاسيزى في شمال ايطاليا عام 1208م، وفي 1209م، ثبت البابا اينوسنت الثالث قوانينها وأصبحت معترف بها لدى الكنيسة

[12] الدومنيكان، فرقة مسيحية أسسها الراهب دومينيك سنة 1215م، كان هدفها التبشير بالمسيحية خاصة في منطقة الشرق الأوسط، للمزيد عن الفرق المسيحية ينظر:

سعد رستم، ***الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية***، ط2، الأوائل للنشر والتوزيع، سوريا، 2005م.

[13] روجر بيكون ولد في 1214، وتوفي 1292 م، للمزيد، ينظر:

سامان حسين احمد، ***روجر بيكون وماكتبه في تاريخ الفكر الأوربي***، كلية التربية، مج،7، 2012م.

ركز المبشرون على تشويه صورة الشرق ومحاولة تدمير قيمه ومبادئه، وضرب العقيدة خاصة في المرحلة التي أعقبت النكسة، فكان تشويه العقيدة أهم هدف، وتتمثل تلك الأفكار ، فكان القران بالنسبة لهم مجرد كتاب يهودي نسخه محمد، وان الإسلام دين مادي لا روحية فيه، يدعو الى الدنيا وليس إلى صفاء النفس[14]، كما أن الإسلام دين يميل إلى الاعتداء والاغتيال ويحرض أتباعه على القسوة على غير المسلمين.

استغلت الإرساليات التبشيرية مثل هذه الأفكار خاصة في دور الأيتام متظاهرة بالعطف والحنان، مقدمة بعض المساعدات في المدارس والمستشفيات حتى تجذب الناس، كما حاربت الفكر الإسلامي معتبرة إياه مجرد فكر يوناني كتب بأحرف عربية[15].

كان هدف التبشير التنفيس عن الهزائم العسكرية التي لحقت بالكنيسة من خلال الحروب الصليبية، وفق عمل منظم يهدف إلى دفع المسلمين إلى الارتداد عن الإسلام، والبعض الأخر إلى اعتناق المسيحية، والسعي إلى تشويه الصورة الحقيقية للإسلام، وبهذا الأسلوب حاولت الكنيسة أن ترسم صورة للشرق وفق الأهداف التي رسمتها من خلال التبشير.

سعى المبشرون إلى دفع بعض المسلمين إلى الارتداد عن الإسلام أو دفع بعضهم إلى اعتناق الإسلام، بل إلى السعي إلى تشويه صورته.

4_ تعريف الاستشراق:

كلمة استشراق في المعاجم اللغوية العربية مصدر للفعل استشرق ومعناه طلب الشرق، وأصله فعل ثلاثي شَرَق، مزيد بثلاثة أحرف الألف والسين والتاء، كما في استغفر طلب الغفران، واستفهم طلب الفهم، وهو من شَرَق، من شَرَقَت الشمس، تشرُق، شُروقاً، وشَرقُاً، أي طلعت واسم الموضع المشرق والشرق جهة شروق الشمس[16] وكل المعاني اللغوية لا تعطي مفهوما واضحا للاستشراق إنما تدل على وجهة جغرافية .

أما المعنى الاصطلاحي الرائج فيقصد به دراسة حضارة الشرق في جوانبها الفكرية والحضارية والفنية والأدبية والعلمية والدينية، ودراسة مختلف العادات والتقاليد التي تميّز الشرق، وهنا يُقصد على وجه التحديد العالم الإسلامي حيث التنوّع والثراء والتميّز والتمايز، وقد تطوّر المفهوم مع تطوّر الدراسات واختلاف أنواعها.

---

[14] البهّي، مرجع سابق، ص، 1.

[15] نفسه.

[16] ينظر: جمال الدين بن منظور، لسان العرب، ج12، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ص، ص، 39، 40. وينظر أيضا: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، 2008، ص، ص، 856، 857.

ورد في تعريف الاستشراق في الموسوعة العربية العالمية التالي: "الاستشراق دراسات أكاديمية عالمية يقوم بها باحثون أجانب من أهل الكتاب-بوجه خاص- حول الإسلام والمسلمين من جميع النواحي التاريخية والعقدية والفقهية والثقافية والحضارية، وحول حضارة الشرق بصفة عامة"[17].

لا يمكن لأي دراسة أن تحدّد بدقة بداية حقيقية للاستشراق لعدة أسباب منها أنه لم يحدّد على وجه العموم تعريف موحد للاستشراق لدي الباحثين، فلكل واحد تعريف معيّن يصل إليه من خلال بحثه ودراسته المعبرة في النهاية عن رأيه،فالبعض يردّها إلى البابا سلفستر الثاني، ثم تطوّر ليصبح دراسة أكاديمية بقرار من مجمع "فينّا" الكنسي عام 712هـ،1312م.

استعمل مصطلح الاستنشراق في مستهل النصف الثاني من القرن 18 وتحديدا سنة 1766م، حيث ورد في موسوعة لاتينية للتعريف بالأب بولينوس، وطبقاً لآراء بعض المؤلفين يعود بداية استعمال هذه اللفظة عند الانجليز الى عام 1193هـ، 1779م،أو 1780م، ثم ظهر الاستشراق في اللغة الفرنسية عام 1799م، أمّا مصطلح مستشرق ظهر في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام1254هـ،1837م[18]، ودخل إلى معجم أكسفورد عام 1812م[19]، وكما جاء في معجم أكسفورد "أن أهمّ رقعة معرفية في الاستشراق هي تلك التي تقوم على اللغة والفن، ثم تأتي سائر خصائص الأقطار الشرقية، وقد تم تعريف المستشرق بأنّه ذلك الشخص الذي يدرس اللغة والفن،كما ورد في اللفظ الانجليزي.

(The person who studics the language and art[20])

6- تعريف المستشرقين:

المستشرقون هم الأشخاص الذين اهتموا بدراسة الشرق وحضارته، ويظهر أن مصطلح المستشرق أطلق سنة 1630م على يد أحد أعضاء الكنيسة الشرقية. أمّا قاموس أكسفورد فيطلق مصطلح مستشرق على كل شخص درس وتعلّم لغات الشرق وآدابه، فالمستشرق في النهاية هو الأكاديمي المتخصّص الذي أتقن لغة شرقية ما أو

---

[17] الموسوعة العربية العالمية،ص، 676.

[18] محمود حمدى زقزوق، ***الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري***، ط1، منشاة المحاكم الشرعية، قطر،1404هـ، 1984م،ص،20، 21.

[19] محمد حسن رماني، ***الاستشراق تاريخه ومراحله، دراسات استشراقية***، السنة الأولى، ع1435،1هـ،2014م،ص،176.

[20] رماني، مقال سابق، ص،179.

أكثر،ودرس واحدا من علوم الشرق، عندئذ يعدّ مستشرقا، ولا تتحقق صفة المستشرق حسب المستشرق الانجليزي أربرى[21]، ما لم يكن الدّارس متبحّرا في لغات الشرق وآدابه،

ويرى المستشرق الألماني ألبرت ديتريش[22] "أن المستشرق هو ذلك الباحث الذي يحاول دراسة الشرق وتفهّمه"[23]، أمّا ادوارد سعيد[24] فيعرّفه بقوله: "كلّ من يقوم بتدريس الشرق أو الكتابة عنه، سواء كان المرء مختصّا بعلم الإنسان "أنتربولوجيا"، أو بعلم الاجتماع أو مؤرخا، أو فقيه لغة "فيلولوجيا" في جوانبه المحدّدة والعامّة على حد سواء"[25].

7- دوافع الاستشراق وأهدافه:

لا يمكن تحديد أهداف الاستشراق والمستشرقين إلا من خلال تطوّر ظاهرة الاستشراق في العالم، ومادامت الظاهرة التاريخية لا تعلّل بالسبب الواحد ،فإنّ دوافع الظاهرة الاستشراقية متعددة، وتطورت أهدافها بتطور الدراسات وأيضا بالحاجة إلى الدراسات الاستشراقية خاصة مع التحولات الكبرى التي رافقت الصراع الحضاري بين الشرق والغرب، وهنا يمكن أن نوجز تلك الدوافع والأهداف ليتم في النهاية ربطها بالمحتوى الذي يناقشه البحث.

7-1_ الدافع الدينى التبشري:

يرى البعض أن الاحتكاك الذي حدث بين المسلمين والمسيحيين في الأندلس فتح أعين الكثير من الرهبان للاطلاع على ما تزخر به الحضارة الإسلامية من معارف وعلوم وتراث، فكانت بذلك فرصة مواتية لهؤلاء للاطلاع على التراث الإسلامي ونقله إلى أوربا، في حين استغل البعض الفرصة –خاصة الذين تعلموا اللغة

---

[21] مستشرق انجليزي ولد في 2ماي 1905م، وتوفي في 2اكتوبر 1969م، يعد من كبار المستشرقين، برز كثيرا في التصوف الإسلامي والأدب الفارسي له العديد من الكتب والمقالات فاقت المائة، ينظر:

عبد الرحمان بدوى، ***موسوعة المستشرقين***، ط3، دار العلم للملايين، 1993.

[22] البرت ديتريش، من كبار المستشرقين الألمان درس اللغة العربية والدراسات الشرقية في جامعة هامبورغ، في 1959م، عيّن أستاذا في قسم اسطنبول لمعهد الآثار الألماني، للمزيد ينظر:

نجيب العقيقي، ***المستشرقون***، ج2، ط3، دار المعارف، القاهرة، ص، 797.

[23] فاضل محمد عواد الكبسي، ***عصر النبوة والخلافة الراشدة***، لفليب حتى دراسة نقدية، فاضل محمد، ط1، دار الفرقان، 1435هـ،ص،2005،22م.

[24] إدوارد سعيد، ***الاستشراق (المفاهيم الغربية للشرق)***، دار بنجوين العالمية، 1995م، ص،38.

[25] إدوارد سعيد، مرجع سابق، ص،38.

العربية- ليجعلوا ما تعلّموه أداة لنشر تعاليم المسيحية والتبشير بها[26]، "وقد كانت الحروب الصليبية دافعا للكثير منهم للاطلاع على التراث الإسلامي من أجل الإساءة للغة العربية والإسلام، وبشكل خاص للسيرة النبوية الشريفة"[27].

7-2الدافع السياسي والاستعماري:

فتح الاحتكاك بالمسلمين جرّاء الحروب الصليبية فرصا كبيرة للمسيحيين حيث استطاع من خلالها الكثير من المتعصّبين من الكتّاب إيجاد الطرق والوسائل لاختراق العالم الإسلامي، من خلال التطلّع إلى خيراته وثرواته[28]، لذلك عمل الكثير منهم على معرفة عادات الشرق وتقاليده، وكيفية إيجاد السبل والأدوات الممكنة لاختراق العالم الإسلامي، وهنا نجد أن البعض من المستشرقين ساهموا في دعم الفكر الاستعماري الذي نشط بشكل كبير بعد الثورة الصناعية، وهناك الكثير من المستشرقين الذين غذوا الروح الاستعمارية ومنهم من ارتبط نشاطه بالاستعمار.

7_3الدافع التجاري:

ركّز بعض المستشرقين على التعريف بالشرق من خلال إبراز خيراته وثرواته، وقد أثّر هؤلاء في أصحاب النزعة الاستعمارية والطامحين والمغامرين الذين وجدوا في تلك الكتابات أدوات ومفاتيح سهّلت لهم إخضاع بلاد المسلمين[29]، وقد كتب الكثير منهم عن العراق ومصر وبلاد الشام، وهنا يمكن أن نستحضر بعض الشواهد والأمثلة خلال حملة نابليون بونابرت على مصر[30]، التي رافقه فيها الكثير من الكتّاب الذين كتبوا فيما بعد عن مصر وحضارتها.

7_4الدافع العلمي:

---

[26] فاروق عمر فوزي، ***الاستشراق والتاريخ الاسلامي القرون الاسلامية الاولى***،ط1، الاهلية للنشر والتوزيع، الاردن، 1998م، ص، 31-34.

[27] محمد البهّي، ***المبشّرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام***، دار المعارف، القاهرة، ص،18.

[28] فاروق عمر فوزي، ***مرجع سابق***، ص، 262، وما بعدها.

[29] نفسه.

[30] حملة نابليون على مصر سنة 1798م، من أهم الحملات الأوربية على مصر، وقد رافق نابليون في هذه الحملة العشرات من، رجال الدين والعلماء، وقد طلب منهم أن يكتبوا كتابات عن مصر، وهو المعروف بكتاب ، وصف مصر، للمزيد عن الحملة أسبابها وأهدافها ونتائجها ينظر:

مذكرات ضابط من جيش الحملة، ***الحملة الفرنسية على مصر،1798م، 1801م***، دار الوثائق والكتب المصرية، 2005م.

حرّك الدافع العلمي الكثير من الكتّاب المسيحيين كي يهتموا بدراسة الشرق وحضارته، إلاّ أنّ ذلك لم يكن هدفا علميا صرفا عند الكثير منهم، ومن هنا كان الدافع العلمي مقسّما إلى عنصرين:

ا-هدف علمي خالص: **-أ**

-ب كانت الغاية منه نقل وحفظ تراث العالم الإسلامي كما هو، وذلك من خلال إبراز دور المسلمين في الحضارة الإنسانية، وإبراز فضلهم ودورهم في الكثير من العلوم كالطب والرياضيات والفلسفة ومختلف المعارف، وقد أسهم الكثير منهم في حفظ التراث الإسلامي والمخطوطات الإسلامية النادرة المحفوظة الآن في كثير من المكتبات العالمية، وهو في حقيقة الأمر جهد لابد أن نعترف به، ورغم أن بعض ما كتبوه لم يرْقَ إلى الدقة المطلوبة، إلاّ أن ذلك لا يمنع من التأكيد على صدق نواياهم، خاصة أن بعضهم لم يتمكّن من اللغة العربية كما يجب.

ب- هدف علمي مشبوه:

قد يكون هذا التيار هو التيار الأقوى والأكثر تأثيرا في تاريخ الاستشراق والمستشرقين من حيث العدد والأهداف، وهو الذي رافق الاستعمار وكان يصور الشعوب الاسلامية على انها شعوب متخلفة بالفطرة[31]، و كان هذا التيار منصبّا على تشويه التاريخ الإسلامي والتشكيك فيه، خاصة الأحاديث النبوية والقرآن الكريم وصحابة الرسول – عليه الصلاة والسلام- وكان أكثرهم من اليهود الذين اعتمدوا في تفسير السيرة النبوية وكل ما يتعلق بالإسلام بالرجوع إلى تعاليم التلمود والتوراة. ويشير الكثير منهم في مختلف كتاباتهم إلى ذلك حيث يصوّرون الإسلام على أنّه دين جديد أسّس على القوة والتعصّب.

نفث أمثال هؤلاء من السموم حول الإسلام والمسلمين[32]، حتى استطاعوا أن يتسلّلوا إلى عقول الكثير منهم، إذ شكّكوهم في عقيدتهم ورسولهم وتاريخهم، ومع الأسف الشديد أن هذه الطروحات قد وجدت من يتبناها ويدافع عنها من المسلمين أنفسهم.

وإذا كانت الأمثلة كثيرة عن هؤلاء إلا أننا نحاول أن نستشهد بمقولات بعض منهم ممن اعتبروا الإسلام مجرد بقايا للتلمود والتوراة، وهو في نظرهم عدو لابد من محاربته بكل الأساليب المتاحة، يقول المبشّر " كولي" في كتابه

---

[31] فاروق عمر فوزي، مرجع سابق، ص،34.

[32] ينظر:أنور الجندي، ***سموم المستشرقين في العلوم الإسلامية***، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، 1985م.

"البحث عن الدين الحق"،متهكّما على الإسلام،حيث يقول: "في القرن السابع للميلاد برز في الشرق عدو جديد هو الإسلام، الذي أُسّس على القوة وقام على أشدّ أنواع التعصب"[33].

أما إديسون فيتّهم الرسول –عليه الصلاة والسلام– بقوله: "محمّد لم يستطع فهم النصرانية ولذلك لم يكن في خياله منها إلا صورة مشوّهة بنى عليها دينه الذي جاء به العرب"[34].

وتحت هذا الهدف المشبوه سأستعرض من خلال هذا البحث طروحات أحد أشهر المستشرقين الذي كانت سمومه قوية التأثير، واعتبر مدرسة من المدارس الكبرى التي أساءت للسيرة النبوية وهو جوزيف شاخت، وما هي آراؤه فيما يتعلق بالسيرة النبوية.

8– نشاة الاستشراق وتطوره:

يبدو من العسير تحديد تاريخ دقيق لبداية الاستشراق، إلا أنّه يمكن القول إن بداية الاحتكاك بين العالمين الإسلامي والمسيحي يعود إلى بداية الحروب الصليبية[35]، التي يقول عنها مصطفى السباعي أنها أحدثت فجوة نفسية بين المسلمين والمسيحيين[36]،وتوقفت بعده تلك العفوية التي كانت بين الشرق والغرب، لأنها فتحت أعين المسيحيين على التركيز على نقد المعارف الإسلامية، وأكثر من ذلك الإساءة إليها خاصة في ظل تزايد التعصب الديني،والتسليم بأن مواجهة العالم الإسلامي عسكريا غير ممكنة، فبدأ الاهتمام من أجل إضعافه من الداخل في بنيته العقائدية والفكرية والاجتماعية.

اعتبر الكثير من الدارسين أنّ بداية الاهتمام المسيحي بالإسلام يعود إلى هذه الفترة، خاصة وأن هذا الدين جاء بقيم جديدة وأفكار مختلفة لم ترق للكنيسة، لذلك بدأ الاهتمام بالإسلام من خلال نشاط المبشّرين ورجال الدين المسيحيين برعاية الكنيسة، ويرى البعض أنّ رحلة الراهب الفرنسي أورباك من فرنسا إلى قرطبة في النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي قد تكون بداية الاحتكاك واطلاع الغرب المسيحي على ثقافة وتراث المسلمين، وقد كان أورباك في بداية الأمر راغبا في العلم والحكمة ونهل من علماء قرطبة مدة ثلاث سنوات ثم رحل إلى روما رفقة قديس برشلونة، وبعدها صار بابا الكنيسة في روما وقد كان له الفضل في ترجمة الكثير من الكتب والاطلاع

---

[33] محمد البهّي، مرجع سابق، ص،38.

[34] _نفسه.

[35] مصطفى السباعي، ***الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم***، دار الوراق للنشر والتوزيع، د ت، ص،18.

[36] نفسه.

على الكتب اللاتينية المترجمة إلى اللغة العربية، واعتبرت هذه الخطوة في نظر الكثير من الدارسين بداية الاستشراق وأنّه نشأ في أحضان الكنيسة الغربية.[37]

بعد سقوط غرناطة سنة 1492 باعتبارها آخر قلعة إسلامية بدأ الفكر الغربي يتحرر تدريجيا من هيمنة الفكر الكنسي نتيجة التحولات التي عرفتها أوربا الغربية مع ظهور النهضة الأوربية وحركة الإصلاح الديني، وما إن حلّ القرن السادس عشر والسابع عشر حتى تغيرت الكثير من الاهتمامات في كتابات الغربيين حيث بدأ الفكر الاستشراقي يتبلور مع ظهور الكثير من الكتابات التي أخذت الطابع العلمي، وبدأت تدريجيا عملية التمحيص والمقارنة، حتى صار الاستشراق فكرا قائما على أسس ومنهج علمي، وتعددت مدارسه في أوربا، إلا أن ذلك لم يمنع من ظهور عدد لابأس به من المستشرقين المتعصّبين الذين تربّوا في أحضان الكنسية والفكر الكنسي، أولئك الذين تشبعوا بالفكر الاستعماري خاصة بعد الثورة الصناعية وما رافق ذلك من تنامي الروح الاستعمارية والفكر القومي في أوربا.وقد ازداد توجس الغرب من العالم الإسلامي بعد أن أصبحت الدولة العثمانية قوة كبيرة ساهمت في اكتساح أوربا الشرقية حتى حاصرت فيّنا سنة 1529م[38].

يربط الكثير من الدارسين صلة وثيقة بين التبشير والاستشراق، فإذا كان الاستشراق ظل يتطور إلى أن أصبح يعتمد عند بعض المستشرقين الجادين على أسس علمية، لكن التبشير بقى مركز على الهدف الذي قام من اجله مستهدفا الأهداف الأولى التي رسمها.

9-1التبشير والاستشراق وجهان لعملة واحدة:

اذا التبشير على ما يبدو سبق الاستشراق، إلا أن لابد من التأكيد أن الاستشراق نشا في كنف التبشير، وكانت لهما نفس الأهداف والدوافع، فقط وفي مرحلة من مراحل التاريخ بدا الاستشراق يأخذ منهجا علميا في تناول العالم الإسلامي، حتي أن الكثير من المستشرقين أنصفوا الحضارة الإسلامية من خلال ما كتبوا، إلا أن الكثير منهم ساروا على نفس الطريق الذي مر منه المبشرون، وتجلى ذلك من خلال السموم التي ظهرت في كتاباتهم وهناك عدد كبير منهم ظلت الكنيسة تحرك أفكارهم وخيالهم.

- ظلت سهام المبشرين ترتكز على الطعن في عقيدة الإسلام وشخصية الرسول وفق العناصر التالية:

الإسلام دين الوثنية:

---

[37]محمد ياسين عريبي، ***الاستراق وتغريب العقل التاريخي العربي***، منشورات الديوان القومي للثقافة العربية، الرباط، ص،136.

[38]ادوارد سعيد، مرجع سابق، ص،50.

نسج الغرب المسيحي في الزمن الوسيط خطابا حول الإسلام تداخلت فيه المعلومة الحقيقية مع المشوهة ، مع الميل المقصود إلى التشويه، وتقديم الإسلام بكل الأشكال المتناقضة مع ماهيته وأصوله،"فهم يقولون أن القران كتاب يهودي نسخه محمد"[39] ، ففي الوقت الذي نجد فيه الإسلام يتأسس على التوحيد وهذا يتناقض تماما مع القاعدة الدينية في الإسلام التي تعتبر التوحيد أساس العقيدة، لكن الخطاب المسيحي الذي اعتمدته الكنسية بمبشريها ورهبانها، اعتمد خطابا مختلفا مروجا لفكرة تتناقض مع هذه القاعدة، والادعاء بأن الإسلام ديانة وثنية تدعو إلى التعدد، ومؤسسها دجال وساحر ومنشقّ، وفي كل الأحوال لا يمكن أن تنطبق عليه صفات النبوة المشكوك فيها أصلا، لأن القول بأن محمدا أرسل إلى الناس لتصحيح التحريف الذي طرأ على اليهوديّة والمسيحيّة، وبأن كل ما هو جيّد في الإنجيل موجود في القرآن قول باطل لأن ذلك ينمّ عن "ادّعاء وجنون أكيد.

.ا9-1الاسلام دين العنف

- هو دين شعاره السيف والحرب والقتال، وهي صفات تمثل النقيض المباشر للمسيحيّة، إذ أن المسلم في نظر الكنيسة ورجالها مجرد رجلا محاربا، شرسا، متوحشا، يقوم بكل أنواع النهب والتنكيل خالقا بذلك وراءه تعاسة وشقاء لا يوصفان، "فبالنسبة لهم الإسلام هو دين يميل إلى الاعتداء والاغتيال ويحرض أتباعه على القسوة على غير المسلمين"[40] ، فيصبح المسلم ممثلا لكل التعبيرات العدوانية، يحركه ميل قويّ للقتل حتى أصبحت القوة عنده، وعلى نطاق عام تقريبا، عنصرا مؤسسا للديانة الإسلامية وعلامة بديهية على الضلال.

9-2الإسلام دين الشبقيّة :[41]

المسيحيين على بناء سيرة ذاتية للنبي محمد خاصة بهم، لعبت فيها المخيلة

- دورا حاسما في إنتاج الصور واختلاق الأخبار بدمج بعض التفاصيل القريبة من الصحة في قالب متخيل يجعل من التهويل والتضخيم قاعدة له، ومن توليد النفور والرفض غايته. فالنبي محمد عندهم رجل "شبقي" ينغمس في عوالم اللذة بشكل عبثي، يقول بتعدد النساء وبالتمتع بالحياة معهن، وفي العرف المسيحي الداعي إلى الورع والتقشف والتعالي عن اللذات والامتناع عن الزواج يمثل هذا السلوك قمة التفسخ والانحلال الأخلاقي، وهو ما استغله المسيحيون في كتاباتهم للتشكيك في نبوة الرسول، من منطلق إدراكهم بأن التحامل عليه، بما لم يثبتوه فيه بالدليل،

---

[39] البهّي، مرجع سابق،ص،1.

[40] البهّي، مرجع سابق،ص،1.

[41] انساق تيار واسع من المبشرين والمستشرقين إلى اتهام الإسلام على انه دين يدعو إلى الجنس واللذة والشهوة والغريزة والحيوانية مستغلين فكرة تعدد الزوجات، واصفة المسلمين على أنهم يلهثون وراء تلك الغرائز واتهموا بذلك الرسول عليه الصلاة والسلام على انه كان يرغب في الجنس ليلب غريزته ناسين الأسباب الحقيقة التي أباحت التعدد.

أحسن وسيلة لنسف الإسلام، وتدمير صدقيه رسالته، وزرع الشك لدى معتنقيه الذين يبقى الأمل في مشروعا تبشيريا قائما.

- **9-3الإسلام دين الغريزة والحيوانية والملذات:**

ولاستكمال الصورة لجأت الكنيسة الغربية إلى استثمار كل أشكال التجريح والدعاية، وفي هذه الصورة كما في حيث نُعت المسلمون بكونهم يمارسون الشذوذ الجنسي، ولا يتورعون في جعل الجنس مسألة .الصورتين السابقتين حيوية في علاقاتهم ووجودهم، وهذا ما يعبّر عن ضعفهم وعجزهم أمام غرائزهم وأهوائهم" فالإسلام في نظرهم

[42]

يدعو إلى الحيوانية والاستغراق في ملذات الدنيا" ،كالمال والنساء، خاصة الإساءة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في قضية تعدد النساء، محاولين إقناع الناس بعدم نبوة محمد، فكيف لنبي ولمن اتبعه أن يدّعي الإتيان بمشروع إلهي وهو غير قادر على الترفع عن غرائزه البسيطة، والتحرر من إغراءات اللذة والحياة العابرة؟

9-4الفكر الإسلامي فكر يوناني:

الصورة الأخيرة التي روجت لها الكنسية ومبشريها تمثل في عدم الاعتراف بالفكر الإسلامي وخاصة الفلسفة

[43]

الإسلامية، "معتبرة أن ماجاء به العرب المسلمين لا يعدو أن يكون فكر يوناني كتب بأحرف عربية".

ولما كان الاستشراق المتعصب هو في الحقيقة مجرد استمرار وامتداد لثلة من المبشرين الذين كان همهم النيل من قدسية الإسلام وسيرة المصطفي عليه الصلاة والسلام السلام، فقد سار بعضهم على خطى المبشرين، ومن هؤلاء المتعصبين نجد هاملتون جيب وهو مستشرق انجليزي، له عدة مؤلفات من كتاب الاتجاهات الحديثة في الإسلام، والمذهب المحمدي، والمجري جولد تسيهر الذي كرس معظم حياته للطعن في الإسلام، من مؤلفاته تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي، ومن أشهر تلامذته المستشرق الألماني جوزيف شاخت، له كتاب المدخل إلى الفقه المحمدي

وأصول الشريعة المحمدية والانجليزي مرجليوت له كتاب التطورات المبكرة للإسلام، ومحمد ومطلع الإسلام، ، والانجليزي مرجليوت له كتاب التطورات المبكرة للإسلام، ومحمد ومطلع الإسلام، والفرنسي لوي ماسنيون المتعصب.

10- الخاتمة:

---

[42] نفسه.

[43] البهّى، مرجع سابق، ص،1.

إن الخطاب المؤسس للنظرة المسيحيّة للإسلام في القرون الوسطى اعتمد على منطق تشويه صورة الإسلام، ورسم صورة أخرى ترتبط بالأهداف التي كانت تهدف إليها الكنيسة، حاولت من خلالها الكنيسة إنتاج وعي مسيحي جديد يساعد على الاحتفاظ بوجود المؤسسة الكنسيّة، فالتجأت من أجل تحقيق ذلك إلى كل الوسائل لشحن الإنسان الأوربي بكل العواطف المعادية للمسلمين، من خلال تقديم صور سيئة عن الإسلام والمسلمين، والقيام بعملية انتقاء للمفاهيم التي تحقق تلك الأهداف، وقد تكفل الكثير من المبشرين بتلك المهمة ليس فقط من اجل تحويل بعض المسلمين إلى نصارى، بل محاولة تشويه العقيدة الإسلامية بكل ما أمكن، وقد خدم هذا السلوك جزء من المستشرقين المتعصبين الذين لم يختلفوا عن المبشرين في أفكارهم وأهدافهم المتمثلة في خدمة الكنيسة والاستعمار، وحاولوا البحث في التراث الإسلامي ليس من اجل أهداف علمية إنما رغبة في الوصول إلى ما يشوه الإسلام، وقد تقاطعت أهداف وأحلام بعض المبشرين والمستشرقين لخدمة التيار الاستعماري الذي نشط بشكل فعال بعد الثورة الصناعية.

11-المصادر والمراجع:

1-إدوارد سعيد، ***الاستشراق (المفاهيم الغربية للشرق)***، دار بنجوين العالمية، 1995م، ص،38.

2-أبو خليل شوقي ، ***الحروب الصليبية أسبابها أحداثها نهايتها***،ط1، دار الفكر، 1430هـ،2009م.

3-بن منظور جمال الدين، ***لسان العرب***، ج12، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية،

4-بدوي عبد الرحمان، ***موسوعة المستشرقين***، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، 1993م.

5-البهّى محمد، ***المبشرون والمستشرقون، وموقفهم من الإسلام***، دار المعارف، القاهرة، دت.

6-الجندي أنور، ***سموم المستشرقين في العلوم الإسلامية***، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، 1985

7- حتى فليب، **تاريخ لبنان**، دار الطباعة للنشر والتوزيع، 1959م.

8-روماني محمد حسن ، ***الاستشراق تاريخه ومراحله، دراسات استشراقية***، السنة الأولى، ع1،1435هـ ،2014م.

9-رستم سعد، ***الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية***، ط2، الأوائل للنشر والتوزيع، سوريا، 2005م

10-رانسيمان ستيفن، ***تاريخ الحملات الصليبية***، تر، نورالدين خليل، ج1، ج2، ج3،

11-زقزوق محمود حمدى ، ***الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري***، ط1، منشاة المحاكم الشرعية، قطر،1404هـ،

12-زيادة مصطفي، حملة ***لويس التاسع على مصر وهزيمته في المنصورة***، ط1، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، د من ، دت.

13-سامان حسين احمد، ***روجر بيكون وماكتبه في تاريخ الفكر الأوربي***، كلية التربية، مج،7، 2012م.

14-السباعي مصطفى، ***الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم***، دار الوراق للنشر والتوزيع، د ت. –

15-الصالح سعد الدين ، احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، ص،31_33.

16-الطشومحمد زين العابدين محمد ، ***التبشير في العالم الإسلامي أهدافه وأثاره***، شهادة دكتورة،جامعة الأزهر، القاهرة، 1407هـ،1987م، ص،34-ص

17-عربي محمد ياسين ، ***الاستراق وتغريب العقل التاريخي العربي***، منشورات الديوان القومي للثقافة العربية، الرباط، دت.

18-عوض محمد مؤنس ، ***البابا اوربان الثاني والفقيه علي بن طاهر ألمسلمي***، مجلة بحوث الشرق الأوسط، عدد،38.

19-العقيقي نجيب، ***المستشرقون***، ج2، ط3، دار المعارف، القاهرة، دت

20-فاروق عمر فوزي،، ***الاستشراق والتاريخ الإسلامي القرون الإسلامية الأولى***،ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 1998

21-قاسم مصطفى السباعي، ***الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم***، دار الوراق للنشر والتوزيع، د ت،

22-الكبسي فاضل محمد عواد ، ***عصر النبوة والخلافة الراشدة***، لفليب حتى دراسة نقدية، فاضل محمد، ط1، دار الفرقان، 1435هـ، 2005م. –

23-مذكرات ضابط من جيش الحملة، ***الحملة الفرنسية على مصر،1798م، 1801م***، دار الوثائق والكتب المصرية، 2005م. –